الأستاذ: أحمد ماريف جامعة ابو بكر بلقايد-تلمسان-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

المقياس: ابستيمولوجيا العلوم الانسانية
المستوى: السنة اولى جذع مشترك علوم انسانية

المحور الاول: مدخل مفاهيمي
عنوان المحاضرة: في مفهوم الفلسفة

تمهيد:

مقياس ابستيمولوجيا العلوم الانسانية هو مقياس يتناول فيه الطالب في السنة اولى جذع مشترك الكثير من المفاهيم المتعلقة بميدان تكوينه خلال هذا السداسي او حتى خلال السداسي الثاني، بحيث يمكنه من معرفة الكثير من المفاهيم والتخصصات المرتبطة بميدان العلوم الانسانية وابرز مواضيعها، اضافة الى انه يتيح له بل ويقدم له فرصة الاطلاع على التخصصات الممكن اختيارها في السنة الثانية من تكوينه، وبالتالي توضيح الكثير من الاخصصات التي يمكن ان يتوجه اليها الطالب، بحيث يقدم له فكرة عن مختلف التخصصات المتاحة في ميدان التكوين في العلوم الانسانية، من هنا تأتي هذه المحاضرة لتحاول أن توضح بعضا من المفاهيم التي تشكلت في ذهن الطالب منذ مدة طويلة ربما فبات يسمعها لكن لا يفقهها مثل مفهوم الفلسفة، العلوم الانسانية، الابستيمولوجيا...بحيث ستخصص هذه المحاضرة للاجابة عن سؤال ما الفلسفة؟

1) تعريف الفلسفة:

ما الفلسفة ؟او ما هي الفلسفة؟ سؤال يطرحه الكثير ، وهذا رغم التعريفات التي قدمت لها الا انها بقيت تتصف بنوع من الابهام لدى العديد من الباحثين او الطلبة، بحيث دائما ما يطرح السؤال التالي ما المقصود بالفلسفة؟

كلمة الفلسفة: "بالفرنسية **Philosophie**، وبالإنجليزية**Philosophy**، وباللاتينية**Philosophi.** لفظ مشتق من اليونانية، وأصله **فيلا-صوفيا**، ومعناه **محبّة الحكمة-Phila sophi"**، وبما أنّ الفلسفة هي محبّة الحكمة فإن الفيلسوف هو محب الحكمة، أي المؤثر لها، ومؤثر الشي هو من يجعل منه غايته وهدفه في الحياة، هذا بخصوص تعريف الفلسفة والفيلسوف كما تشكّلا في بدايتهما، وهو تعريف سرعان ما سيتغيّر وتتسع دلالته بحث لم يعد محصورا في محبّة الحكمة، وإنما أخذ دلالات ومعاني متعددة وكثيرة وهذا بحسب كل مدرسة ورؤيتها الخاصة بها للفلسفة، لهذا يجب التّأكيد على أن مفهوم الفلسفة يتلوّن في كل مرحلة بلون معين وهذا بحسب العصر الذي تتواجد فيه من جهة، وبحسب الظروف التي تميّز هذا العصر أو ذاك، وكل عصر إلا ويعطينا ويمدنا بدلالة جديدة حول مفهوم الفلسفة، لهذا سوف نتطرق باختصار إلى بعض تعريفات الفلسفة عند بعض الفلاسفة في عصور مختلفة.

لنبدأ بسقراط الذي يعرف الفلسفة على أنها **"تطبيق عملي Praxis بالمعنى الأسطوري للكلمة أكثر مما هي شعر Poiésis، هي نشاط أكثر مما هي خلق، هي ممارسة أكثر مما هي نتاج..."** أما أفلاطون فكان يرى أن **"الفلسفة لا تدوّن وإنّما تنبثق من النفس أي أنها تجربة ذاتية روحية تعاش أكثر منها حقيقة منطقية...أي أنها ذوق**

وكشف" ،فهي البصر بالخير والجمال والحق، وهي ضرب من التهذيب المستمر للنفس وتطهيرها من شواغل المحسوسات، **"فالإنسان لا يكون فيلسوفا إلا اذا انبثقت الأفكار من نفسه وكانت معبّرة عن ذاته"** بالخير ويذهب أرسطو إلى أنّ الفلسفة هي العلم بالمبادئ الأولى للكون، وهي بحث في الوجود بما هو موجود.

وهي عند ابن سينا **"صناعة نظر يستفيد منها الإنسان في تحصيل ما عليه الوجود كلّه في نفسه، وما الواجب عليه عمله مما ينبغي أن يكتسب فعله لتشرف بذلك نفسه"** ،فهي بهذا التعريف علم بالموجود وإصلاح للسلوك بغية تحقيق السعادة في الدنيا والاخرة.

أما في الفترة الحديثة وعلى تنوع فلاسفتها فقد كانت عند ديكارت أشبه بشجرة **"جذرها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي: الطب والميكانيكا والأخلاق... فالفلسفة تبعا لهذا هي علم كليّ، تعنى بالمبادئ ولا تهتم بالتفاصيل"** وفي الفترة المعاصرة فقد تميّزت الفلسفة **"بانفتاحها على ميادين كانت مهمّشة أو مستبعدة كالدين وأنساق العبارة ووقائع الخطاب ومؤسسة السجن وغيرها من المفاعيل اللاعقلانية. يقول الفيلسوف ميشيل فوكو "ماهي إذن الفلسفة اليوم-وأعني النشاط الفلسفي- إذا لم تكن العمل النقدي، لنفكر بالفكر ..."** ،وبهذا فقد تميّزت الفلسفة المعاصرة بتعدد مجالاتها وانفتاحها أكثر فأكثر متخذة منه عاملا محوريا في قيامها و وجودها بغية التوضيح والتفسير، والنقد والمساءلة، والتشخيص والتقويم والتقييم، وهذا ماكان مع الكثير من الفلاسفة المعاصرين من أمثال نيتشه، وفوكو، وفوانسوا داغوني...

هذه بعض التعريفات التي حاولنا أن نبرز من خلالها انتقال وتحول المفهوم من مرحلة إلى أخرى وهي في مجلمها تعريفات نخلص منها: أنّ الفلسفة "تعاش كتجربة، ملمحها هو الإبداع، تنطلق من مشكلات عصرها، وترتبط بالسياق الاجتماعي والتاريخي للأمة التي نشأت فيها، كما ترتبط بالسياق اللغوي والأدبي الذي يتناسب مع مقتضياتها البنيوية...إن الفلسفة اليوم هي تاريخ أفكار وتمرين على التفكير وفقا لقيم الفكر الفلسفي(النقد، الفحص، الشك، المنهجية، الحوار، التدمير...)"

2)مباحث الفلسفة: للفلسفة ثلاث مباحث كبرى هي: مبحث الوجود، مبحث المعرفة ، مبحث القيم.

أ- مبحث الوجود:

يعتبر مبحث الوجود المجال الأساسي للفلسفة النظرية (الميتافيزيقا)، بحيث تبحث في الكون والوجود الإنساني باستخدام العقل، وفي كل مايحدث في الكون والعالم على أساس النتائج، للإشارة فقط أن الكثير الدارسين يعتبرون أن مبحث الوجود هو نفسه مبحث الميتافيزيقا و الأنطولوجيا .

ب- مبحث المعرفة :

ان التساءل عن الوجود واصبه وطبيعته يقود إلى أسئلة تتعلق بالمعرفة أي البحث في إمكانية معرفة هدا الكون من عدمها، وايضا البحث في طبيعة المعرفة هل هي ذات طبيعة عقلية أم تجريبية؟ وهل الادراك الانساني للحقيقة مطلق ام نسبي؟ اضافة الى البحث حدود المعرفة الإنسانية؟ كل هذه المسائل تهتم بها نظرية المعرفة..

ج- مبحث القيم :

هو المبحث الثالث من مباحث الفلسفة، بحيث يتناول ويطرح اسئلة متعلقة بالجانب القيمي الاخلاقي، مثل: ما الأخلاق؟ ما طبيعتها؟ ومن يصنعها؟ وهل هي من صميم الإنسان فقط أم تتعداه إلى الحيوان؟ ما

مصدرها هل الدين ام العقل ام المجتمع؟، كل هذه الأسئلة يطرحها الفيلسوف محاولا تقديم اجابات وحلول لها.

3) الفلسفة والواقع:

اخترنا هذا العنوان للكشف عن التصور السائد لدى عامة الناس وحتى خاصتهم من المثقفين، الذي يقدم الفلاسفة على أنهم يعيشون قطيعة مع الواقع ومع اليومي باعتبارهم لا يقومون سوى بعملية صياغة الأفكار في شكل طلاسم لا تقدم أي إضافة للأفراد والمجتمعات، ومن هذا نشأ تهجم على الفلسفة والمشتغلين بالفكر الفلسفي خصوصا. هذه الصورة القاتمة عن الفلسفة نجدها تتجلى بوضوح في مجتمعاتنا ولدى الكثير من مثقفينا والذين هيمنت عليهم تلك النظرة الإقصائية لكل ما هو فلسفي، هذه النظرة **"التي ترتدي تارة ثوب التكنولوجيا...وتارة أخرى ثوب التدين لتعلن أن الفكر الفلسفي يعادي في كنهه الإيمان"** (فتحي التريكي، 2009، ص06).

هذا ما يجعلنا نحاول الكشف عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والواقع المعاش، ونبيّن كيف يمكن للفلسفة أن تتعامل مع دروب الحياة اليومية، وأن تبرز حضورها ومساهمتها الظاهرية والباطنية في بناء الأفراد والحضارات والمجتمعات. فبعدما أُشبعت الفلسفة بالأفكار المسبقة خاصة في فضائنا العربي أصبحت تحمل وزر تاريخها، فنجد المواطن العادي يتنكر للفعل الفلسفي وهو بتنكره هذا يصدر فعلا فلسفيا آخر بدون شعورو**"هذا تحت وقع أفكار فلاسفة تنكروا للفلسفة وخاضوا حربهم ضدها تحت راية الشريعة أو قراءة خاصة لها(الغزالي خير مثال على ذلك)، وتغذى هذا الموقف من موقف فلاسفة آخرين نأوا بأنفسهم عن مشاغل الناس واستعاضوا عن تغيير الواقع برسم صور لمدن فاضلة كم هي جميلة لكنها لا تقوى عن تنفس هواء عالمنا الأرضي فتتبخر تبخر الحلم الجميل(مثل**

مدينة الفارابي الفاضلة) أو وجهوا خطابهم إلى خاصة الخاصة" (سليم دولة، 2008، ص06). فالفلسفة في علاقتها بالواقع بتجلياته المختلفة العلمية والدينية هو من ولّد النظرة السلبيّة إلى الفلسفة،مماحرّك المتشدّدين والمتنطعين لقناعة دينية أوعلمية أو مذهبية إلى التهجم على الفلسفة، وعلى المشتغلين بها رافضين إيّاها ومساهماتها في تنوير الفكر وتكوين الإنسان وبناء المجتمع العارف الواعي المفكّر الذي يسعى لولوج عالم التقدّم والتحضّر.

4)وظيفة الفلسفة وأهمّيتها العملية:

لقد أخذت الفلسفة معان ودلالات عدة جعلتها العلم الأوحد والأكثر مرونة،فهي صناعة، كما أطلقه عليها الفلاسفة المسلمين **"فصناعة الفلسفة هي مقولة انفردت بها العرب، مثلما انفردت بنعت كل فرع معرفي بمقولة (صناعة)، صناعة الطب، صناعة الشعر...إنّ أعلى الصناعات وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة ...والصناعة ككتابة: حرفة الصانع، وعمله الصَّنعة"** وهذا نفس التصور الذي قدمه ابن رشد والكندي والفارابي وسبقهم في ذلك أرسطو إلى اعتبار أنّ الفلسفة هي صناعة. وقد حذا حذوهم جيل دولوز عندما اعتبر الفلسفة هي فن صناعة المفاهيم، ومن قبله فنغنشتاين، حيث هي **"قليلة المذاهب التي كانت ترى في الفلسفة نشاطا عمليا، أي بوصفها صناعة وليس كتأمل عملي ونظري"**

إنّ الفكر كلما كان أكثر قربا من مشاغل الناس وهمومهم كلما كانت الفلسفة حاضرة وأخذت أهميتها المرجوة والحقيقية التي قامت بها عبر العصور الماضية، لأنه **"عندما يقترب التفكير من مشاغل الناس وهمومهم بآليات الفلسفة وتقنياتها مطيحا بذلك أرستقراطيتها سيكون مجبرا على إبراز صبغتها العملية التطبيقية،**

وسيعتبر أن المجال الحقيقي لها قد تحدد الآن في الراهن بمجرياته وأحداثه. معنى ذلك أن الفلسفة لم تعد تقتصر على دراسة الوجود الإنساني في كنهه فقط بل وأيضا في تمظهراته الفردية والاجتماعية" ، وهنا تتجلى الفلسفة وينكشف حضورها وتبرز قيمتها وأهميتها لدى العامة والخاصة.

فالبحث في كنه الوجود تعدته الفلسفة إلى البحث في تفاصيله ومختلف مظاهره الإجتماعية والفردية فأضحت تتلمسه في راهنيته وحقيقته بل وأصبح الفلاسفة يتمثلونه ويستشعرونه، وهذا الاستشعار للواقع ولليومي هو المهمة التي يجب أن يقوم بها الفلاسفة والمتفلسفة وهي من صميم الذات الإنسانية التي تميل بطبيعتها إلى التفلسف إما من خلال التساؤل الذي هو صفة جوهرية للفعل الفلسفي باعتبار أنّ التساؤل هو من منبت الروح الفلسفية وطابعها الخاص، أو من خلال الخوض في مختلف القضايا اليومية والفكرية التي ترتبط بالإنسان ومختلف مظاهره السلوكية والعقلية.

ومن مظاهر الفعل الفلسفي في الحياة اليومية الحرية التي يحظى بها المرء بها عبر العصور فقد نادى الفلاسفة والمتفلسفة على حد سواء بضرورة الحرية في الفعل والعمل والتفكير لأنه **"نظرا للإقبال على رأي الآخر في الاعتماد على المناقشة النقدية وعليه يؤسس كارل بوبر لمنادي الحرية الفكرية ومسؤولية المفكرين اتجاه تحقيقها عبر آفاق المستقبل المفتوح"** فإذا كانت مهمة الفلسفة بحسب ما يشير الى ذلك جود ديوي هي توضيح أفكار الناس المتصلة بنزاعاتهم الأخلاقية والاجتماعية لأزمنتهم **"فإن هذه النزاعات لن تنتهي وباستمرارها تستمر الفلسفة طالما بقيت في الثقافة فسحة من الحرية والانفتاح تجعل من نقد المؤسسات والممارسات إمكانية قائمة...وبوجود الحرية في الثقافة توجد الفلسفة ويصح كذلك العكس".**

هذا المستقبل الذي سعت الفلسفة إلى التأسيس إليه عبر مختلف محطاتها التاريخية حيث استطاعت أن تكرّس تنوعها وتبرز تواجدها في مناحي الحياة المختلفة فتبلورت بشكل عفوي لدى المبدعين من الفنانين والرسامين والموسيقيين والشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء،وأيضا أصحاب الاختصاصات المختلفة، إضافة إلى عامة الناس بمن فيهم من رفض الفلسفة لفظا وشيوعا، ومارسها واستلهمها وعاشرها طوعا لا شعورا، فهذا حال الكثير من الأفراد والأشخاص من العامة و الخاصة وهنا تتولد **"الفلسفة الشريدة المفتوحة والمتنوعة التي تعانق دائما الحياة اليومية وتنصت إلى هموم الناس ومشاغلهم...فالفلسفة مهما كانت توجهاتها هي توضيح للمفاهيم والتصورات وتحديد الأفكار والمجالات ونقد الأطروحات والمواقف وهي بذلك إبداع متواصل وانفتاح على كل الأفكار والمعتقدات دون اقصاء أو تطفل"** .

ومادامت الفلسفة هي اكتشاف للعنصر العقلي فإنها لهذا السبب نفسه إدراك للحاضر وللواقع بالفعل، فالفلسفة هي إدراك للواقع الفعلي وليس مهمتها أن تشيّد عالما في الماوراء وهذا ما ذهب إليه هيغل في كتابه أصول فلسفة الحق حين قال: **"من المرغوب أن تُفهم الفلسفة أنّ مضمونها ليس إلاّ الواقع الفعلي، أعني لبّ الحقيقة الذي نتج في الأصل، وينتج ذاته في تطاق حياة العقل، وأصبح هو الذي يشكّل العالم الداخلي والخارجي للوعي"** (محمد شوقي الزين، 2014، ص12). فتوجه الفلسفة إلى الواقع أي قضايا الراهن هو الأمر الذي يمكّنها من استرجاع ثقافة السؤال واسترجاع قوتها ومكانتها وأصالتها، لهذا نجد شفيستر ينتقد الحالة التي وصلت إليها النزعة العقلية التي تقوم بوظيفة الفلسفة مجازا لا حقيقة، في الخيال لا في الواقع، فأخذ الفلسفة بالمرجعيات العريقة أو الحديثة هو سبب عدم فاعليتها، **"لم يعد فيها أي عنصر أساسي يمكن أن يصبح فلسفة**

للشعب..إن قيمة أي فلسفة هي في النهاية إنّما تقاس بقدرتها أو عجزها، عن أن تتحول إلى فلسفة حية للشعب"

خاتمة:

وبهذا تتجلى ضرورة الفلسفة وقيمتها من خلال اهتمامها بالقضايا الراهنة، بتجلياتها المختلفة التي تجعل الفلسفة تنطلق منها لترتقي إلى عالم الفكر عبر التساؤل والتحليل والتفكير، لتعود إليها برؤية متوازنة منطقية وعقلانية تحاكي بها القضايا الراهنة وتجعل منها حلولا لمشكلاتها